# تواصل الحكاية الشّعبيّة بالقصص القرآني

**زناتي عائشة** *
[1] جامعة مولود معمري تيزي وزو ، aicha.zenati@ummto.dz
مخبر التمثلات الفكرية والثقافية

[2] جامعة مولود معمري تيزي وزو ، zahia.teraha@ummto.dz
مخبر التمثلات الفكرية والثقافية

أ.د. زهية طراحة

الإرسال: 2026/07/11 القبول: 2026/07/26 النشر: 2026/09/15.

**الملخص**:
يبرز المقال العلاقة الوثيقة بين الحكاية الشّعبيّة الجزائريّة والقصص القرآنيّ ، مبينا أنّ القرآن الكريم يعد من أهمّ مصادر الإبداع السّردي الشّعبيّ ، ويوضح أنّ المبدع الشّعبيّ استلهم قصص الأنبياء والأحداث القرآنيّة ، ثم أعاد تشكيلها بما يتلاءم مع البيئة المحليّة والخيال الشّعبيّ. كما يبين أنّ القصص القرآني أدّى دورا تربويا وأخلاقيا ودينيا انعكس بوضوح في وظيفة الحكاية الشّعبيّة ، وأنّ العلاقة بين النّص القرآني والحكاية الشّعبيّة تقوم على التّناص والإبداع ، لا على النّقل الحرفي ، إذ يعتبر تفاعلا مستمرا بين النّص المقدس والموروث الشّفهيّ.

**الكلمات المفاتيح:** القصص القرآني ، الحكاية الشّعبيّة الجزائريّة ، القصص الدّيني ، التّواصل ، التّأثير.

## The interconnection between Folk Tales and Qur'anic Narratives.

* **المؤلف المرسل**.

**Abstract**: This article highlights the close relationship between Algerian folk tales and qur' anic narratives, demonstrating that the Holy Qur'an constitutes one of the most significant sources of popular narrative creativity. It explains how the flok storyteller has drawn inspiration from te stories of the prophets and Qur'anic events, subsequently reshaping them in ways that align with the local environment and the popular imagination.

The study further shows that Qur'anic narratives have played a pivotal educational, ethical, and religious role, which is clearly reflected in the function of flok tales. Moreover, the relationship between the Qur'anic text and folk narratives is based on intertextuality and creative adaptation rather than literal transmission, as it represents a continuous interaction between the sacred text and oral heritage.

**Key words:** Qur'anic narratives; Algerian flok tales; religious storytelling; communication; influence.

**1- مقدّمة:**

إنّ الحكاية الشّعبيّة في المجتمع الجزائريّ ، كأيّة حكاية شعبيّة في المجتمعات الأخرى ، تعد جزءا من الموروث الثّقافي الإنساني المشترك ، إذ تتقاطع في كثير من خصائصها ومضامينها مع الحكايات الشّعبيّة المنتشرة في المجتمعات الأخرى ، حيث نجد حكايات لها ملامح شبه مع التّراث العربي والإنساني ، قد يعزي هذا التّشابه إلى اشتراكها في الجذور الدّينيّة والثّقافيّة ، فضلا عن تأثرها بالعوامل المحليّة المرتبطة بالبيئة المكانيّة والزّمانيّة الّتي نشأت فيها ، فهي تعكس تجارب الإنسان ومواقفه تجاه واقعه وما يحيط به من تحديات وظروف مختلفة.

من هذا المنطلق ، يمكن العثور على حكايات متشابهة في مناطق متباعدة جغرافيا من هذا العالم قد لا تربط بينهما علاقات تاريخيّة ، وهو ما يدل على أنّ الحكاية الشّعبيّة ليست نصّا ثابتا ، بل بنية سرديّة قابلة لإعادة التّشكيل والتّأليف في أزمنة وأماكن متعددة «إنّ كل حكاية أو نموذج لحكاية من الممكن أن يؤلف ويعاد تأليفه من جديد مئات المرات في أزمنة

وأمكنة مختلفة ، وإنّ التّشابه الّذي نلاحظه بين حكايات بلاد مختلفة ما هو إلّا نتيجة لتشابه العوامل الخلّاقة للعقل البشري» [1].

سنسلط الضوء في هذا المقال على القصّة القرآنيّة وعلاقة المبدع الشّعبي بها ، ونحاول إبراز ورصد بعض أحداث القصّة الأصليّة الواردة في النّص القرآني واستلهامها في الحكاية الشّعبية الجزائريّة ، وهذا يقودنا إلى اعتبار أنّ القرآن الكريم مصدرا من مصادر الحكاية الشّعبيّة الجزائريّة. سنحاول الإجابة على الإشكاليات التّالية: إلى أيّ مدى يتجلى تواصل الحكاية الشّعبيّة الجزائريّة مع القصص القرآني في بنيتها السّرديّة ومضامينها الدّينيّة؟ وكيف أسهم القصص القرآني في تشكيل الذّاكرة السّرديّة الشّعبيّة الجزائريّة؟ وما أثر ذلك في بناء الحكاية الشّعبيّة الجزائريّة من حيث الأحداث والشّخصيات والوظائف والقيم؟

تجلى تواصل الحكاية الشّعبية الجزائرية مع القرآن الكريم بصورة واضحة ، ويرجع ذلك إلى أنّ القرآن الكريم كتاب مقدس في الثّقافة الجزائرية كونه منزها عن الخطأ ، لقوله تعالى: ﴿والنّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [2] ، إذ استمدت الحكاية الشّعبيّة العديد من موضوعاتها وصورها السّردية من النّص القرآني ، فهو مصدر أساسي من مصادر الثّقافة الشّعبيّة ، بما يزخر به من قصص وأحداث وعبر شكلت رافدا مهما للمخيال الشّعبي ، إذ يعد «من أهم الوسائل المنتجة للدلالات فهو معين لا ينضب ، بما يحتويه من قصص وعبر وأحداث كيف لا وهو كلام الله المعجز» [3]. بالنسبة للذاكرة الجزائريّة الجماعيّة.

**2. القصص القرآني:** لقد أدرك الإنسان العربي –وغيره من البشر- منذ القدم الأثر العميق للقصّة في توجيه النّفوس والتّأثير في العقول والسّيطرة على الأفئدة ، وأنّها تشكل عاملا مهما في إنجاح أيّة دعوة من الدّعوات الّتي يراد بثها في أفئدة النّاس ، لما لها من قدرة على ترسيخ الأفكار والقيم في وجدان المتلقين ، ولهذا احتلت القصّة مكانة بارزة في الخطاب القرآني ، حيث ورد الأمر بالقصص للعظة والتفكير في قوله تعالى :﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [4]

جاء في قوله تعالى : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [5] وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [6] فالقرآن الكريم أطلق لفظة القصص «على ما حدّث به منّ أخبار القرون الأولى في مجال الرّسالات السّماويّة ، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال ، وبين مواكب النّور وجحافل الظلام» [7].

من الملاحظ أنّه لم ترد القصة القرآنيّة لمجرد السّرد والإمتاع، وإنّما جاءت لتحقيق مجموعة من المقاصد الدينيّة والتّربويّة والاجتماعيّة والإنسانيّة. فقد وظفها القرآن الكريم وسيلة فعّالة لترسيخ العقيدة الصحيحة، والدعوة إلى التّوحيد، وإرشاد النّاس إلى طريق الحق والخير، وتقويم السّلوك الإنساني بما ينسجم مع مبادئ الإسلام، وتربية الفرد على الصبر والثّبات والإيمان بالقضاء والقدر، من خلال عرض نماذج من قصص الأنبياء والرّسل والصالحين، وما تعرضوا له من ابتلاءات ومحن انتهت جميعها إلى النّصر والتّمكين.

ولا يقتصر أثر القصص القرآني على الجانب التّوجيهي فحسب، بل يتجاوزه إلى الجانب النّفسي، إذ جاءت قصص القرآن تثبيتا لقلب النّبي صلى الله عليه وسلم «وتأييده ومواساة له وللمؤمنين إضافة إلى تثبيت العقائد الصحيحة ونفي الخرافات والأفكار القديمة»[8].وفي ظروف الدّعوة الإسلامية «لم يقتصر القصص القرآني على الوظيفة التّذكيريّة والوعظيّة وحدها في عصر الخلفاء الرّاشدين، بل خرج من حلقات الوعظ والتّذكير في المساجد، ليرافق الجيوش في فتوحاتها الإسلاميّة...لتثبيت القلوب وحشد الهمم»[9].

ومنه لم يؤدّ ظهور الإسلام إلى انقطاع مسيرة القصص العربي أو إضعاف حضوره في الحياة الثّقافيّة والاجتماعيّة، بل كان نقطة تحول مهمّة أسهمت في إعادة توجيه هذا الفن وإثرائه بمضامين جديدة، بعد أن كانت القصص في العصر الجاهلي تدور غالبا حول أخبار القبائل وأيام العرب والبطولات الفردية والمفاخر القبليّة.

وقد تنبه رجال السّياسة إلى هذا الفن بما يخدم مصلحتهم بعد إدراكهم تأثيره على عقولهم وقوته في التّوجيه، ولم يكن هذا التّوظيف قائما على التّرفيه فحسب، بل اتخذوه وسيلة للدعاية تخدم مصالحهم، واستعملوا المساجد وساحات الحرب من أجل تحفيز الناس والمحاربين على الولاء لسياستهم، مستفيدين من المكانة الّتي احتلها القصاصون في المجتمع الإسلامي ومن قدرتهم على مخاطبة مختلف فئات النّاس بلغة قريبة من أفهامهم. خاصة في العصر العبّاسي أين استفحلت ظاهرة القصص في البلاد العربيّة وأصبحت لها مكانة لدى عامة النّاس لما تلبيه من حاجيات نفسيّة واجتماعيّة خاصة في الظروف المستعصية.

وتشير المصادر التراثيّة إلى أنّ مجالس القصاصين كانت تستقطب أعدادا كبيرة من الناس، حتّى نافست في بعض الأحيان حلقات العلماء والفقهاء من حيث كثافة الحضور،

وقد ذكر ابن عوف المتوفى عام 151هـ «إنّه في مساجد البصرة كان لعلماء الفقه حلقة واحدة على حين كان للقصاص حلقات لا تحصى ، حتّى كانت المساجد مملوءة بهم».[10]

ولا يمكن تفسير هذا الإقبال الكبير بمجرد حب النّاس لسماع القصص ، بل إنّ القصة كانت تؤدي وظائف نفسية واجتماعيّة متعددة ، وأسهمت في تعزيز الشّعور بالانتماء الجمعي ، ولهذا أصبحت القصة وسيلة للتربيّة وأداة لنقل الخبرات والقيم من جيل إلى آخر.

**الحكاية الشّعبيّة:** وفي مقابل القصص القرآني برز في التّراث الشّعبي الجزائري ما يطلق عليه بالقصص الدّيني الشّعبي ، وهو لون من ألوان الأدب الشّعبي ، الّذي يتميز بوظائف عديدة ، إذ لم يكن مجرد وسيلة للتسلية والمؤانسة عن الملل واليأس والأرق والانعزال ، بل أداة لتقوية العقيدة وتعزيز الإيمان ، وبعث الأمل في النّفوس ، وتخفيف آثار الشّدائد والأزمات الّتي يواجهها الإنسان في حياته اليوميّة ، كما لعبت دورا نفسيّا مهمّا في التّخفيف من مشاعر الحزن والخوف واليأس ، ولاسيما لدى الفئات الّتي تعاني المرض أو الشيخوخة أو فقدان الأحبة ، إذ يجد المتلقي في هذه القصص ما يبعث الطمأنينة ويجدد الثّقة برحمة الله وعدله «وقد ثبت أنّ للقصائد أثرا عظيما في تفريج الكرب ونيل الرغبات أعظم من الأثر الذي تحدثه الدعوة».[11]

لذلك ارتبط تداول هذا اللون من القصص بالمناسبات الاجتماعيّة والدّينيّة المختلفة ، حيث كان يروى في المجالس العائليّة والزّوايا والمواسم الدّينية والأسواق الشّعبيّة وليالي الشّتاء الطّويلة ، وبهذا تحوّلت القصة الشّعبية الدّينية إلى وسيلة للحفاظ على القيم الاجتماعيّة وترسيخ الهوية الدينيّة وتعزيز روح التّضامن داخل المجتمع.

وقد أسهم انتشار الثقافة الإسلاميّة في بلاد المغرب العربي منذ الفتح الإسلاميّ وما أعقبه من نشاط علمي ودعوي ، في ترسيخ هذا الاتجاه القصصي داخل البيئة الشّعبيّة ، فقد انتقلت إلى المجتمع الجزائري نصوص القرآن الكريم ، والسيرة النّبويّة ، وأخبار الأنبياء ، وقصص الصحابة والأولياء ، عن طريق العلماء والفقهاء والوعاظ والزوايا ، فأصبحت تمثل رصيدا سرديا غنيا استلهم الشّعبيون موضوعاتهم ، وأعادوا إنتاجه في صور حكائية وشعريّة تتلاءم مع الذوق الشّعبي وخصوصيتها البيئية المحلية.

ومن الظواهر اللافتة في التراث الشعبي الجزائري وجود نمط شعري يعرف في بعض المناطق الجزائريّة باسم "أشعار التأبين" ، وهي في الأصل قصائد سردية ذات طابع ديني تقوم على رواية قصة كاملة ترتبط غالبا بسيرة نبي أو ولي صالح أو حدث ديني ذي دلالة

أخلاقية. وتمتاز هذه القصائد بكونها تجمع بين السّرد والشّعر ، إذ يختلف هذا اللون الشعري عن بقية الأنماط الشّعريّة الشّعبيّة في اعتماده على البناء القصصي أكثر من اعتماده على الغنائية ، إذ تتأسس بنيته على تسلسل الأحداث وتطوّر الشّخصيات وتصاعد الحبكة ، وصولا إلى خاتمة تحمل عادة عظة أو حكمة أو قيمة أخلاقيّة.

وتمتاز هذه القصص الدّينية الشّعبيّة بمقومات من العناصر الفنّية الّتي يقوم عليها الفنّ القصصي في ميدان النّثر ، وهي قصيدة طويلة يمكن أن تصل إلى حدّ الأربع مائة بيت شعري ، مثلما هو الحال لقصّة سيدنا "يوسف" عليه السّلام ، والّتي تصل إلى ثلاث مائة بيت تتغنى بها النساء أثناء حضور الجنائز عبر أنحاء القرى الجزائرية والقبائلية خاصة ، ويضاف إلى هذا الطول عناصر أخرى تتصل بعضوية القصيدة وانسياب مقاطعها ، إذ تشتمل على العناصر الأساسيّة الّتي تتوفّر عادة في نص القصص النثري ، مثل المقدمة الّتي تقضي إلى مضمون المبنى على جملة من الأحداث والمشاهد الّتي تنمو بشكل تأزمي حتى تبلغ ذروة التأزم ثم تبدأ في الانفراج بشكل تدريجي حتى تبلغ النّهاية الّتي تمثّل خاتمة القصيدة.

وإلى جانب هذه الخصائص الشكلية والبنائية ، يتميّز القصص الدّيني الشعبي بخصائص أخرى تتعلّق بجانب الأفكار والموضوعات ، إذ غالبا ما يعود الرّاوي الشعبي إلى أحداث تاريخية حفظها عبر مرور الأزمنة عن طريق أسلافه الذّين علمنه هذه النّصوص القصصية الشّعرية ، لاسيما من تاريخ الإسلام عن طريق النّصوص القرآنيّة الّتي اندثرت عبر بقاع بلاد المغرب الكبير على إثر الفتوحات الإسلامية ، وذلك قصد استلهام المادة اللازمة لتشكيل مضامين الأشعار بما يغترفونه من أحداث مدهشة وبطولات مسندة لشخصيات مبجلة.

ومن الموضوعات الرئيسة التي تشكل قالب هذه الأشعار القصصية ، تلك الأحداث التي تعرض إليها الأنبياء والمرسلين وكذا رجال الله المقربين إليه ونعني هنا الأولياء الصّالحين ، وكلّهم حبكت حولهم الكثير من الأقاصيص المثيرة للدّهشة والغرابة ، ونسجت حول شخصياتهم هالات من التقديس والتعظيم.

ومن ثمّ ، فإنّ المادة الحكائيّة الّتي تقوم عليها الأشعار والقصص الدّينيّة الشّعبيّة ليست مادة مبتكرة من فراغ ، وإنّما هي امتداد لتراث ديني وتاريخي واسع ، أعيدت صياغتها وفق آليات السّرد الشّعبيّ ، مع المحافظة على جوهره العقائدي والأخلاقي ، مثل: قصّة "سيدنا يوسف" عليه السلام وما تحمله من دلالات الصّبر والعفة والانتصار على المحن ، وقصّة "سيدنا إبراهيم" عليه السّلام الّتي تعبر عن الثّبات على العقيدة والتّضحيّة في سبيلها ، كما

انتشرت القصص المتعلقة بالنبيّ محمد صلى الله عليه وسلم.فتعددت الموضوعات الّتي تعالجها هذه النّصوص الشّعبيّة ، غير أنّ القاسم المشترك بينها وبين القصص القرآني يتمثل في التّركيز على الشّخصيات الّتي تركت أثرا بالغا في التّاريخ الدّيني ، وفي مقدمتها الأنبياء والرسل.

ونظرا للعلاقة الجوهرية بين القرآن وبين النصوص القصصية المتداولة في أوساط المجتمع الجزائري ليس على مستوى المعنى والدلالة فقط ، وإنّما حتى على مستوى المبنى والصّياغة ، كالاستهلال والاختتام والشخوص والأمكنة والأزمنة ، والخصائص الأسلوبية والخصائص الفنية ، كما نجد بعض القصص الشعبية تحمل عناوين مماثلة أو متقاربة في القصص القرآني فقد توسمت بعض القصص باسم الشخصية الأساسية ، مثل قصة يوسف وإبراهيم وموسى... ، وهي العناوين نفسها التي تحملها قصص القرآن الكريم: مثل يوسف وإبراهيم وموسى...

**4. حضور القصص القرآني في النّص الشّعبي:**

لقد لقيت قصص الأنبياء رواجا كبيرا في كل العصور «ووجدها الرواة والفلاسفة مادة ثرية أودعوا كلّ ما انبثق من أخيلتهم ، كما اعتبروها مجالا خصبا لكل ما يتساءلون عنه من أفكار فلسفية وموضوعات إنسانية وتجارب ناجحة»[12].

ومن أبرز الأمثلة على هذا التأثير ما نجده في بعض الحكايات الشعبية التي تعيد إنتاج قصة نبي الله "يوسف" عليه السلام ، فقد استلهمت حكاية «سقه الجايح»[13] كثيرا من عناصر هذه القصة ، سواء في البناء الحكائي أو في تسلسل الأحداث أو في الخاتمة الّتي تنتهي بإنقاذ البطل بعد تعرضه للغدر من أقرب النّاس إليّه إذ كاد له إخوته رغم حبّه لهم ودفاعه عنهم ضدّ الأخطار والمخاطرة بحياته لسلامتهم ، واستلهام النص القرآني في هذه الحكاية واضح حين يصل الراوي إلى سرد خبر قطع الحبل به وتركه في قعر البئر الذي نزل من أجل سقايتهم ، ثم يكتب له النّجاة لينتقل بعد ذلك إلى مكانة اجتماعية مرموقة حيث يصبح سلطانا ، وهي بنيّة سرديّة تستحضر قوله تعالى :﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَاتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[14] وكما نجا يوسف من كيد إخوته وأصبح مسؤولا على خزائن مصر ، فالمحنة كانت بداية طريق نحو التمكين والعزة ، أيضا نجا "سقه الجايح"

من كيد إخوته ، فالحكاية الشّعبيّة احتفظت بهذا العنصر «وهو نموذج مطابق التقليد مركب في بنية سردية مخالفة تضمر الاقتباس بشكل يجعل الاعتقاد أنّ الحدث تقاطع عفوي».[15]

الحدث نفسه نجده يتكرر مع حكاية «الملقى بدنار»[16] عندما غدر به إخوته بقطع الحبل وتركه في قاع البئر ، مرت قافلة للشرب مع دوابها ، عندما سمعوا نداءاته من أسفل البئر قاموا بإخراجه ، قال تعالى :﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾[17] .

من هذه الاستلهامات نستنتج أنّ قصة يوسف كثيرة التداول بين عامة الشعب ومعروفة بتفاصيلها ، لما تتضمنه من عناصر التشويق والصراع والمحنة والانتصار. وهنا أوردنا بعض الأمثلة على سبيل المثال لا على سبيل الحصر إذ نجد حكايات كثيرة لها تواصل بقصة يوسف عليه السلام الواردة في النص القرآني.

ولا يقتصر الأمر على التّشابه في الحدث المركزي ، بل يمتد إلى الدلالة الرمزية ، إذ أنّ البئر في كلتا القصتين يمثل لحظة الابتلاء والامتحان ، في حين ترمز النّجاة إلى العناية الإلهيّة الّتي ترافق الإنسان المؤمن مهما اشتدت المحن ، وهذا ما يؤكد أنّ الحكاية الشّعبيّة لا تستنسخ النّص القرآني استنساخا حرفيا ، وإنّما تعيد توظيفه داخل منظومة رمزية تتلاءم مع رؤية المجتمع الشعبي للعالم.

ونجد في التراث الشّعبيّ الجزائريّ حكاية «لونجة»[18] الّتي كانت مخطوبة لابن عمها ، اختطفتها الغولة ، قرّر ابن عمها البحث عنها ، لمّا وجدها ساعدها على قتل الغولة وطلب منها أنّ تتنكر في جلدها ، ولمّا أراد الزواج منها رفض الأهل وسخر منه سكان القريّة فقرّر أن ينتقم لسمعته ، اتفق الشاب مع لونجة أخذ قصبة وأسرع إليها متظاهرا بضربها وهو يصرخ :"انزعي جلدك يا آمة بنت آمة" ، نزعت جلدها ورمته وتجلت في صورة فتاة رائعة الجمال ، اندهش جميع السكان لجمالها معتقدين أنّ الآمة تحولت إلى حرة حسناء ، ووقفوا مبهورين إلى حد أنّ الفلاح حصد بمنجله أصابعه بدل الزرع ، والنّجار قطع أصابعه بدل الأخشاب ، والحداد أصاب أصابعه بالمطرقة بدل الحديد.

هذا الموقف الذي حدث مع لونجة وهي تقطيع سكان القرية أيديهم بدل الزرع والخشب والحديد لقوة جمالها ، يشبه موقف سيدنا يوسف لمّا تجلى أمام النسوة ، أعظمنه وأجللنه لأنّهن ما ظنّن أن يكون مثل هذا الجمال في بني آدم ، فانبهرن بحسنه وجماله ، ومن شدة ذهولهن لرؤيته قطّعن أيديهنّ بدلا من تقطيع ما بيدهنّ ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ

وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[19]

وتكشف المقاربة النصيّة بين الحكايات الشّعبيّة الجزائريّة والقصص القرآني عن حضور واضح لمظاهر التناص، حيث يستلهم الراوي الشعبي الأحداث الرئيسة والشخصيات المحوريّة ثم يعيد بناءها داخل إطار سردي مختلف، قد يضيف إليه عناصر جديدة أو يحذف منه بعض التّفاصيل، وهذا ما نفته كريستيفا عن وجود نص خال من مدخلات نصوص أحرى «فكل نص عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات وكل نص تشرب وتحويل لنصوص أخرى»[20] وهذا يندرج تحت مصطلح التفاعل النّصي، دون أن يمسّ الرّسالة الأساسية الّتي يحملها النّص الأصلي، وبهذا تتحول القصة القرآنية إلى مرجع ثقافي تستمد منه الحكاية الشّعبيّة مشروعيتها وفاعليتها في التّأثير في المتلقي.

وقد أشار عبد المالك مرتاض إلى أنّ الرّواية الشّعبيّة لا تنقل الوقائع بكامل تفاصيلها، وإنّما تعيد بناءها وفق مقتضيات الذّاكرة الجماعيّة، فتبقي ما يسهل تداوله وتحذف ما لا يؤدي وظيفة مباشرة في السّرد.

من القصص القرآنية الّتي أثرت في تشكيل نموذج الحكاية الشّعبيّة قصة سيدنا "موسى" عليه السّلام، قال تعالى:﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى، إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾[21]، أثر هذه الآية من قصّة موسى نلحظه بشكل واضح في قصّة «انصيص عبد»[22] حين رأى النّار في قمّة الجبل وعزم على أن يستطلع ما حولها، لأنّ النّار دلالة على وجود الإنسان أو مخلوق قربها، وحين وصل "انصيص عبد" إلى مكان النّار وجد الغيلان فقتلهم، وتكرر هذا الحدث عندما قرر تعقب النّار مرة ثانية ووجد الغولة مع أبنائها.

أيضا من صور تأثير قصة موسى عليه السّلام في النّص الشّعبيّ الجزائري، قوله تعالى:﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحى، أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾[23] خوف أم موسى على ولدها من بطش فرعون وبوحي من الله وضعته في الصندوق وألقته في البحر، هذا الحدث هو نفسه في حكاية "قرن ذهب وقرن فضة"[24] الّتي تحكي:

ذات يوم مرّ سلطان فوق جواده رأى نساء يردن الماء فقالت الأولّى: لو يتزوجني السّلطان سأطبخ من سنبلة القمح ما يتغذى منه جميع أهل القريّة، وقالت الثّانية، لو يتزوجني

السلطان سأنسج له من جزة صّوف برنوسا كاملا، وقالت الثّالثة: لو يتزوجني سأنجب له ولدا قرن شعره ذهبا وبنتا قرن شعرها فضة، تزوج السلطان من الأولّى ولم تستطع الوفاء بعهدها، فتزوج من الثّانية وهي الأخرى لم تستطع الوفاء بالوعد، ثمّ تزوج من الثّالثة فحملت منّه وبقي منتظرا تحقق وعدها له، لكن ضرّتيها كادتا لها، لمّا حان المخاض جاءت "الستوت" الّتي استولدتها وأنجبت ولدا قرن شعره ذهبا، وبنتا قرن شعرها فضة، غير أنّها قامت باستبدال الولدين بكلب وكلبة، فسجن السّلطان زوجته مع الكلاب، وضعت "الستوت" بالولدين في صندوق ورمته في البحر، لكن شيخا كبيرا عثر على الصندوق وربّاهما، ولمّا عرف الولدان الحقيقة رجعا إلى أهلهما وخلصا أمّهما من السجن وعاقب السلطان كل من تسبب في هذه المكيد.

إنّ اقتباس أحداث ومواقف بعينها من القرآن الكريم وتوظيفها في النّصوص الحكائيّة من أجل إضفاء شكل أفضل ومضمون أعمق على نصوصهم، في قصة «لالة ميمونة والعالم الفقيه»[25] هذه المرأة الّتي اتخذت الجبل خلوة لها للتعبد، وذات يوم قصدها شيخ فقيه ليعلمها الصلاة الصحيحة، مرّت الأيام فوجئت بنسيانها لسوّر القرآن، فشدت الرّحال بحثا عن الشّيخ الفقيه، حتّى بلغت الشّاطئ، إذ قالت متذرعة إلى الله "ميمونة تعرف ربي، وربي يعرف ميمونة" استجاب الله لدعائها وشقّ طريقا في البحر تسير عليه حتى لحقت بالباخرة الّتي تحمل العالم الفقيه.

إنّ فكرة شق طريق في البّحر لميمونة يستدلنا مباشرة إلى قصة سيدنا موسى مع فرعون مصر المتجبر في أرض الله، فبعد أن لقي قوم موسى في مصر كافة أشكال العذاب والظلم، فرّوا من تلك المضايقات الّتي وجهها لهم فرعون وقومه، فانتهى بهم الأمر عند البحر، هنا قال أصحاب موسى إنّا لمدركون من فرعون وجنوده، فطمأنهم موسى لأنّ الله لا يخلف الميعاد، تحدث تلك المعجزة شق البحر والّتي كانت سببا في نجاة قوم موسى من الطّاغية فرعون، «فصار البحر طريقا آمنا وقام الماء على جانبيه كالجبل الكبير وبعث الله الرّيح إلى قعر البحر فلفحته فصار يبسا كوجه الأرض»[26]، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[27].إنّ «الحدث الحافز مشترك والتفاصيل تصرّف فيها المبدع الشعبي بما لا يجعل قصّة موسى هي المقصودة، فالحدث في قصص القرآن مصدر فاتح للإبداع غير مكرّر التفاصيل»[28].

إنّ الاقتباس من القرآن الكريم سمة اختصّ بها المبدعون الشّعبيون ، إذ لا يكاد يخلو نص شعبي من سمات قرآنية سواء على مستوى الموضوعات أو الشّخصيات والدّلالات ، ونلحظ كذلك في حكاية «القرد والحجلات»[29] أو المائدة أنّ هذه الحكاية لها تواصل مع قصة سيدنا عيسى عليه السلام الواردة في القرآن الكريم ، إذ تتحدث الحكاية الشعبية عن جماعة من الأطفال كانوا يقصدون الغابة كل يوم لرعي أغنامهم ، ذات يوم أحسوا بالجوع فدعوا الله أن ينزل عليهم طبقا (جفنة) مليئة بالطعام واللحم اللذيذ ، استجاب الله لدعائهم وأنزل عليهم طبقا مليئا بالطعام فأكلوا حتى شبعوا ، هذا الحدث يرشدنا إلى قصة سيدنا عيسى القرآنية عندما طلب منه قومه بدعوة الله أن ينزل عليهم مائدة مملوءة بالطعام والمشروبات ، وكان سبب هذا الطلب أنّهم بعد أن أتموا صيام ثلاثين يوما ، كانت تلك المائدة لهم عيدا يفطرون عليها ، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[30] ، وعلى الرغم من هذه المعجزة لم يستجيبوا له وخالفوا أمر ربهم وكان جزاؤهم أن الله "مسخ الّذين تكلّموا في ذلك خنازير" ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«نزلت المائدة من السماء خبز ولحم وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا ولا يرفعوا لغد ، فخانوا وادخروا ورفعوا فمسخوا قردة وخنازير»[31].

في الحكاية الشعبية كذلك كانت مقابلة إحسان وإكرام الله لهم بالعمل الشنيع وهو تبرز الذكور على نعمة الطعام ، وكان عقاب الله لهم بمسخ الذكور قردة والبنات إلى حجلات ، ومنذ ذلك الوقت لا يشير منظر القردة إلاّ السخرية والاحتقار والقبح ، والحجلات إلى الجمال والحسن المنظر..

فالقرآن الكريم بقصصه وعبره يعتبر أهم المنابع والمناهل بالنسبة للقاص الشعبي ، حيث وجد فيه مادة غزيرة ، لأنه يشكل جزءا ثابتا من حياتهم المعيشيّة ، ويحمل نواة بقائهم ووجودهم واندماجهم بالحياة ، حاول القاص الشعبي من خلال القصة الشّعبيّة تبسيط الأمور ، وتقريب الفهم للناس للغرض الدّيني ، هادفا بذلك إلى تهذيب السلوكات الفردية

والجماعية ، حيث أضفى عليها صيغ فنية تتماشى والذّوق الشّعبي ، وعليه أصبحت القصة القرآنيّة والقصة الشّعبيّة كلا متجانسا من القيم والأخلاق والعبر.

يروى في حكاية «السبعة الرقود»[32] أنّ سبعة شبان أوّوا إلى مغارة ، وطال مكوثهم فيها ، ولم يفيقوا من سباتهم ، فانطلقت جماعة من أهل القرية نحو القرية للاستفسار عن حالهم ، ولمّا دخلوها اندهشوا لحال الفتية الذين يغرقون في نوم عميق والنّور يشع من وجوههم والروائح الزكيّة تفوح من أجسامهم ، وأطلقوا عليهم اسم السبعة الرقود ، ومن ذلك اليوم أصبحت المغارة مزارا للتبرك ، ولمّا طال نومهم بنوا عليهم قبة لا تزال قائمة إلى اليوم ، تحمل اسم "الأولياء السبعة رقود".

تتواصل أو تتشابه هذه الحكاية مع "أصحاب الكهف" تتمحور هذه القصة حول مجموعة من الفتية فروا من القرية الّتي كان يحكمها ملك كافر وجائر ، وعندما سمع الملك بتوحيدهم أراد قتلهم ، فهداهم الله إلى الكهف ليأمنوا فيه ، ولكن المعجزة كانت بأنّ الله أنامهم فيه لأكثر من 300 سنة ، وكانت نهاية القصة الموت الحقيقي لأهل الكهف وبنو عليهم مسجدا للتبرك به ، قال تعالى: ﴿إذ أَوَى الفِتيَةُ إلى الكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءاتِنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشَدا ، فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِم فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَدا﴾[33]

غاية القاص الشّعبي ليست توثيق الحدث كما في النص القرآني ، بل تثبيت معالمه الكبرى في الذاكرة الجمعيّة ، فمن منظور السّرديات يمكن القول إنّ الحكاية الشعبيّة احتفظت بما يسميه فلادمير بروب "الوظائف السّردية" للحدث ، لكنها تخلت عن كثير من الوحدات الوصّفية والحوارية ، ممّا أدى إلى تكثيف السّرد دون الإخلال بهيكله العام.

**4. خاتمة:**

يتضح في الختام أنّ القصّة الشّعبيّة تتقاطع مع القصّة الدّينيّة في عدد من السّمات ، إذ تستلهم منها الأحداث والشخصيات والأزمنة ، كما تستثمر التّجارب الإنسانيّة والسّير ذات البعد الدّيني ، ومع ذلك يظل لكل منهما خصوصيته ، فالقصّة القرآنيّة تتخذ من الهداية والإرشاد وبناء القيم وتعميق العقيدة غايتها الأساسيّة ، فهي ترتكز على الدّين دون سواه وتجسد بالفعل والعمل ، وتلتزم بالصدق والحقائق بعيدا عن المبالغة أو التخييل ، كما أنّها تعتمد على الأسلوب الموجز البليغ والمؤثر يخاطب العقل والوجدان ، في حين نجد القصّة الشّعبيّة السّرد الحكائي فيها يمزج بين الواقع والخيال ، ويستعين بالعجائبي والخوارق لإضافة التّشويق والإثارة ، كما تخضع للتداول الشّفهي ، الأمر الّذي يجعلها أكثر عرضة للتحوير

والإضافة والحذف ، وتهتم بوصف تجارب الأمم بطريقة مسلّية ومرفهة وليست منذرة وواعظة كالقصّة القرآنيّة.

وعلى الرّغم من هذا الاختلاف ، فإنّ النّص القرآني ظلّ حاضرا في الذّاكرة الشّعبيّة بوصفه مصدرا رئيسا تستمد منه الحكاية مضمينها وصورها وقيمها ، ثم إعادة تشكيلها بما ينسجم مع المخيلة الشّعبيّة وخصوصيّة البيئة المحليّة ، بينما القرآن الكريم يبقى نصا ثابتا محفوظا ، لا يطرأ على ألفاظه أو معانيه تبديل أو تحريف ، وهو ما يفسر ثبات بنيته في مقابل مرونة الحكاية الشّعبيّة وقابليتها للتغيير عبر الزّمن.

## 5- مصادر البحث ومراجعه:


1. القرآن الكريم
2. ابن كثير: البداية والنهاية ، دار ابن كثير ، بيروت ،2018 ، ج1.
3. خالد عيقون: القصص الشّعبيّ الدّيني بالوسط الجزائريّ ، جمع ميداني ودراسة سيميائية ، أطروحة دكتوراه ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، 2007.
4. راحتي مراد: نماذج من الحكايات الشعبية الجزائرية ، مقاربة سيميائية ، رسالة ماجسبير ، جامعة بلقايد ، وهران ، 2001.
5. الرّاوية: سلامي فاطنة.
6. طلال حرب: أولية النّص ، نظرات في النّقد والقصّة والأسطورة والأدب الشّعبي ، المؤسسة الجامعية ، لبنان ، ط1 ، 1999.
7. عبد الحميد بورايو: في الثقافة الشّعبيّة الجزائريّة ، التاريخ والقضايا والتجليات ، دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع ، منشورات رابطة الأدب الشّعبي لاتحاد الكتاب الجزائريين ، الجزائر ، 2006.
8. عبد الكريم خطيب: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، دار المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1975.
9. غراء حسين مهنا: أدب الحكاية الشعبية ، الشركة المصرية العالمية للنشر ،القاهرة ، ط1 ، 1998.
10. مبروك دريدي: القصّة الشّعبيّة في منطقة سطيف ، التّشكيل الفني والوظيفي ، رسالة ماجستير ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2003 2004.
11. محمد بكر إسماعيل: قصص القرآن الكريم من آدم إلى أصحاب الفيل ، دار المنار.
12. محمد عزّام: نظرية التناص ، مجلة البيان الكويتية ، العدد6 ، نوفمبر ، 2000.
13. نبيل حويلي: رواية الجدّة: حويلي حواء ، السن: 92 سنة ، قرية الشرفاء ، بلدية ودائرة عزازقة ، ولاية تيزي وزو ، بتاريخ: 06-05-2013.


## 6- الهوامش والإحالات:

[1]- غراء حسين مهنا: أدب الحكاية الشعبية ، الشركة المصرية العالمية للنشر ،القاهرة ، ط1 ، 1998 ، ص8.

[2]- سورة النجم : الآيات ، 1 ، 2 ، 3 ، 4 ، 5.
[3]- خالد عيقون: القصص الشّعبيّ الدّيني بالوسط الجزائريّ ، جمع ميداني ودراسة سيميائية ، أطرروحة دكتوراه ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، 2007 ، ص175.
[4]- سورة الأعراف ، الآية 176.
[5]- سورة يوسف الآية 3.
[6]- سورة آل عمران الآية 62..
[7]- عبد الكريم خطيب: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، دار المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1975 ، ص40.
[8]- محمد بكر إسماعيل: قصص القرآن الكريم من آدم إلى أصحاب الفيل ، دار المنار ، ص13
[9]- عبد الحميد بورايو: في الثقافة الشّعبيّة الجزائريّة ، التاريخ والقضايا والتجليات ، دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع ، منشورات رابطة الأدب الشّعبي لاتحاد الكتاب الجزائريين ، الجزائر ، 2006 ، ص64.
[10]- طلال حرب: أولية النّص ، نظرات في النّقد والقصّة والأسطورة والأدب الشّعبي ، المؤسسة الجامعية ، لبنان ، ط1 ، 1999 ، ص121.
[11]- خالد عيقون: القصص الشّعبيّ الدّيني بالوسط الجزائريّ ، ص175.
[12]- المرجع نفسه ، ص137.
[13]- مبروك دريدي: القصّة الشّعبيّة في منطقة سطيف ، التّشكيل الفني والوظيفي ، رسالة ماجستير ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2003 2004 ، ص 196 ، 202.
[14]- سورة يوسف الآية 15.
[15]- مبروك دريدي: القصّة الشّعبيّة في منطقة سطيف ، ص72.
[16]- راحتي مراد: نماذج من الحكايات الشعبية الجزائرية ، مقاربة سيميائية ، رسالة ماجسبير ، جامعة بلقايد ، وهران ، 2000 2001 ، ص175 ، 176 ، 177.
[17]- سورة: يوسف الآية 19.
[18]- خالد عيقون: القصص الشعبي الديني بالوسط الجزائري ، الملحق ، ص253.
[19]- سورة يوسف الآية 31.
[20]- محمد عزّام: نظرية التناص ، مجلة البيان الكويتية ، العدد6 ، نوفمبر ، 2000 ، ص37.
[21]- سورة طه الآية 9 ، 10.
[22]- مبروك دريدي: القصة الشعبية في منطقة سطيف ، ص 187 ، 188 ، 189 ، 190.
[23]- سورة طه الآية 38 ، 39.
[24]- الرّاوية: سلامي فاطنة.
[25]- خالد عيقون: القصص الشعبي الديني بالوسط الجزائري ، الملحق ، ص185.
[26]- محمد بكر إسماعيل: قصص القرآن الكريم من آدم إلى أصحاب الفيل ، ص49.
[27]- سورة الشعراء الآية 63.
[28]- مبروك دريدي: القصة الشعبية في منطقة سطيف ، ص69.

[29]- نبيل حويلي: رواية الجدّة: حويلي حواء ، السن: 92 سنة ، قرية الشرفاء ، بلدية ودائرة عزازقة ، ولاية تيزي وزو ، بتاريخ: 06-05-2013.

[30]- سورة المائدة الآية 112 ، 115.

[31]-ابن كثير: البداية والنهاية ، دار ابن كثير ، بيروت ، ج1 ، 2018 ، ص80.

[32]- خالد عيقون: القصص الشعبي الديني بالوسط الجزائري ، الملحق ، ص178.

[33]- سورة الكهف ، الآية 10 ، 11.